اللغة العربية في الإعلام المقروء

أ.د. محمود أحمد السيد
رئيس التحرير

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف أهمية الإعلام في عالمنا المعاصر وموقع الإعلام العربي فيه، وأهمية الإعلام المقروء، ثم نقف على واقع اللغة العربية في هذا الإعلام المقروء، لنصل أخيراً إلى عدد من المقترحات الرامية إلى الارتقاء بهذا الواقع.

أولاً: أهمية الإعلام في عالمنا المعاصر

ليس ثمة من ينكر أهمية الإعلام في عالمنا المعاصر ودوره الكبير في بناء الأمم والقوميات الكبرى في عالم اليوم، ودوره الكبير في التوعية والمراقبة والتنمية، ومن ثَمَّ في برمجة عقل الإنسان وعواطفه واتجاهاته، إذ إنه بات من الحقائق الكبرى لعصرنا، ودخل في نسيج الحياة وفي قلب الحراك السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي على مستوى الدول وعلى مستوى العالم بمجمله.

ويتميز الإعلام الحديث بتعدده وتنوعه الهائل، فهناك الفضائيات بأنواعها المختلفة، والشابكة «الإنترنت» بكُلِّ ما تزخر به، والصحافة الإلكترونية، والصحافة العابرة للحدود وغيرها، وهناك الإعلام المتخصص بالأخبار، أو بالموسيقا والغناء، أو بالقضايا الاجتماعية والترفيهية بأشكالها المختلفة... لخ.

ويتمتع الإعلام الحديث بقدرة فائقة على تعميم أنماط العيش والسلوك والاستهلاك السائدة في البلدان المتقدمة، ولا يقتصر تأثيره على المجال الاقتصادي والمعلوماتي، بل يتعدى ذلك

إلى مجالات أخرى أشد خطورة، وهي المجال الثقافي والهوية القومية واللغة الأم.

وإذا كان عالمنا المعاصر يتسم بأنه عصر العلم والتقانة والتفجر المعرفي والانتشار الثقافي والمواصلات السريعة والتفجر التقاني والمعلوماتي، فإن الغزو الثقافي يشتد مع اشتداد مخاطر الغزو التقاني، بعد أن أصبحت التقانة في عالمنا المعاصر مسلحة بأسلحة حديثة فعالة عقب انبثاق ثورة المعلومات والاتصال بصورة خاصة. وفي مقدمتها الاتصالات السلكية واللاسلكية ووكالات الأنباء والصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية.

وتجدر الإشارة إلى أن «ثورة المعلومات والاتصالات التي يشهدها عالمنا المعاصر لا تتجلى في تنوع وسائل الاتصال ويسر استخدامها فقط، وإنما تتمثل في هذا الكم الهائل والتنوع الشديد فيما تقدمه من معلومات، وما تفرزه من اتجاهات تؤثر في عقول الناشئة ووجداناتهم وقيمهم»[1].

ولما كان الإعلام بمختلف وسائله يؤثر في عقول الناس واتجاهاتهم ووجداناتهم كان ثمة من يرى أن الإعلام المقروء أشد تأثيراً من الكلمة المسموعة، إذ ورد في المثل الصيني «أسمع فأنسى، أقرأ فأتذكر»، وهذا ما يدفع بنا إلى الموازنة بين الكلمتين المسموعة والمقروءة عبر وسائل الإعلام.

ثانياً: أهمية الإعلام المقروء

ليس ثمة اختلاف جوهري بين البشر أكثر من الاختلاف بين «من يستطيعون القراءة والكتابة، ومن لا يعرفون ذلك، فالأخيرون لديهم العادات وليس القوانين، والأساليب وليس العلم، والدين وليس الأحوال الفقهية»[2].

والواقع أن البشرية مدينة لهؤلاء الذين اخترعوا الأبجدية، وعلموا العالم الكتابة، ولولا

---

[1] الدكتور محمود أحمد السيد، في الإعلام التربوي، مطبعة العجلوني، دمشق 2001 ص38.

[2] ف. ماسجروف، التربية والإنتربولوجيا، الثقافات الأخرى والعلم، اليونسكو 1992 ص17.

الكتابة لظلت البشرية تعيش في العصر الحجري، ولولاها لكان الظلام أحلك ظلمة، ولكانت مخاوفنا أشد خطراً، فالكتاب بالضرورة نشاط إنساني، والقدرة على القراءة والكتابة تمنحنا أملاً عظيماً وفرصة أكبر في إدراك كنه الحياة وصنعها.

ويمكننا أن نتصور دور الكلمة المكتوبة في حياتنا إنْ أصبحنا في يوم من الأيام، وإذا المواد المكتوبة قد اختفت من أمامنا، فلا صحف ولا مجلات ولا مراجع ولا سجلات ولا نشرات ولا مطويات ولا إعلانات ولا موسوعات فماذا يحدث لنا؟ ماذا نعلّم في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا؟ وكيف نطلع على ما يجري من حولنا من مناشط فكرية؟ وكيف يتسنى لنا معرفة النشاط الإنساني في المجتمعات الأخرى؟

لاشك أننا سنرد إلى حياة بدائية قريبة من تلك التي كان عليها أجدادنا القدماء قبل آلاف السنين، ولقد كان مصيباً رسول حمزاتوف عندما يقول: «إن تاريخ العالم كمصير أي إنسان يجب أن نقسمه إلى قسمين: قبل ظهور الكتاب وبعد ظهوره، الحقبة الأولى ليل، والثانية نهار ساطع، الحقبة الأولى واد ضيق مظلم، والثانية سهل واسع أو قمة جبل.

وفي عالمنا المعاصر انتشرت الكلمة المكتوبة انتشاراً واسعاً، وليس ثمة مكان في هذا العالم لم تصل إليه الكلمة المكتوبة فهي في السماوات، وهي متناثرة فوق بقاع الأرض كافة وفي قاع المحيطات، بل إن هناك كلمات مطبوعة فوق قمة «افريست» وها هو ذا «بولا» مؤلف كتاب «المرجع في جهود محو الأمية من منظور القاعدة الميدانية»[3] الصادر عن اليونسكو يقول: لقد شاهدت بعيني كلمات مكتوبة وسط صحراء «كلهاري»، كما أن الكاتب القاص الفرنسي «جول فرن» يشير إلى وجود الكلمات في باطن الكرة الأرضية وذلك في إحدى قصص الخيال العلمي التي ألفها.

وقراءة الكلمات المكتوبة تكوّن الرجل الكامل، والتشاور يجعله رجلاً مستعداً، والكتابة

---

[3] بولا، المرجع في جهود محو الأمية من منظور القاعدة الميدانية- اليونسكو، ترجمة صالح عزب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق 1998.

تجعله دقيقاً على حد تعبير «فرانسيس بيكون». أما «فيكتور هوغو» فقد قال: «إن الإنسان الذي يستطيع القراءة هو إنسان كتبت له النجاة»، فهو يرى ببصيرته الفذة أن القراءة بمعناها الواسع ليست قراءة الكلمات بهدف التعرف بالذات، وبالمجتمع وتاريخه فقط، بل إنها تعني كذلك قراءة العالم وقراءة الآخرين- جميع الآخرين- بغية الالتحام معهم في إطار المعرفة والاحترام والمحبة، كما أنها تعني في نهاية المطاف القراءة من أجل النجاة من الاضطهاد والتبعية والجوع. إن عبارة «هوغو» تشمل كل شيء: التربية والثقافة والتنمية[4].

وعندما سئل «فولتير» عمن سيقود الجنس البشري؟ أجاب: «الذين يعرفون كيف يقرؤون ويكتبون».

وربط «توماس جيفرسون» الرئيس الأمريكي الثالث بين القراءة والحرية قائلاً: «إن الذين يقرؤون هم الأحرار فقط، ذلك أن القراءة تطرد الجهل والخرافة معاً، وهما من ألد أعداء الحرية»[5].

ولقد كانت فاتحة الرسالة الإسلامية كما هو معروف لدينا جميعاً «اقرأ باسم ربك الذي خلق» لأن القراءة سبيل الإنسان لفهم الكون والنفس والمجتمع والحياة.

ولو رحنا نوازن بين الكلمة المسموعة والكلمة المقروءة لوجدنا أن الكلمة المطبوعة من أثمن ممتلكات الإنسان، وخير ما أنتجته الحضارة الإنسانية للدنيا، والمكتبة هي الذاكرة الوحيدة المستمرة للفكر الإنساني كما يقول شوبنهور. ومن ناحية أخرى نجد أن الثقافة المسموعة والمرئية عبر الإذاعة والتلفزة والقنوات الفضائية لا تغني عن الثقافة المكتوبة، لأن درجات الحرية في القراءة أكثر منها في الكلمة المسموعة والمرئية، إذ إن الوسائل المسموعة لا تتيح للسامع اختيار المسموع أو الشاهد كما هي الحال في القراءة، لأن الاختيار يقوم به سواه، وإذا

---

[4] فريدريك مايور، تقرير الدورة الثالثة والأربعين من المؤتمر الدولي للتربية، جنيف، أيلول 1992 ص6 من الملحق رقم 4.

[5] الدكتور محمود أحمد السيّد، تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح، دار طلاس، دمشق 1989 ص149.

كان ثمة حرية فإنها محدودة، على حين أن حرية القارئ أوسع دائرة، فهو يختار بحريته ورغبته ما يشاء، كتاباً أو صحيفة أو مجلة، كما يختار ما يشاء من صحف ومجلات في هذا الميدان من ميادين المعرفة أو في غيرها، كما أن اختيار المقروء يحقق للقارئ تنوع المعرفة وتعددها في ضوء ميوله واهتماماته وحاجاته.

يضاف إلى ذلك كله ميْزة اقتناء المادة المكتوبة خلافاً للكلام المسموع الذي لا يمكن الرجوع إليه بعد بثه إلا إذا كان مسجلاً على شريط، ومع ذلك تبقى هذه التسجيلات دون مستوى القراءة من حيث العمق والامتداد، فضلاً عن أن المادة المكتوبة تزود القارئ في سطور قليلة بعدد من الفِكَر والصور والأخيلة والثروة اللفظية والقوالب اللغوية، وتتيح له بسهولة التعمق في تمثل المقروء وإدراك مراميه القريبة والبعيدة، خلافاً للكلام المسموع الذي يتعرض للنسيان أكثر من المقروء كما سبقت الإشارة، وما يزال أحدنا يتذكر قصة أو رواية أو قصيدة شعرية قرأها في مراحل حياته الأولى أكثر مما يتذكر فيلماً شاهده قبل خمس سنوات أو أقل.

وتؤثر الكلمة المطبوعة في عقول الناس وعواطفهم وسلوكهم وأفعالهم، وهي تخلو من الصوت، مما يجعل لها ميزة مساعدةِ القارئ على تحديد سرعته وإعادة قراءته والتمهل والتوقف كما يريد، وتتيح له اتخاذ الوضعية التي تناسبه في أثناء القراءة واختيار الوقت اللازم لقراءته.

ومن الملاحظ أن قراءة الأخبار عبر المنافذ الإلكترونية واللاسلكية سيصبح أكثر شيوعاً من قراءة الصحف المطبوعة، وستكتسب الصيغة الرقمية للصحف الأهمية ذاتها التي تتسم بها الصيغة المطبوعة لها، إنْ في عدد القراء أو في حجم العوائد، وها هي ذي الأجهزة المحمولة بمنـــزلة البوابة التي توصل حاملها إلى عالم وسائل الإعلام، وستحل محل المجلات المطبوعة، وسيحصل على ما يريد من أخبار من خلالها، ومن مجموعة واسعة من المصادر، إذ يضم المحتوى مزيجاً من النصوص والصور الثابتة والتسجيلات المرئية والمسموعة

والبرامج التفاعلية[6].

وتجدر الإشارة إلى أن دفء العواطف الإنسانية التي تقدمها القراءة في الكتب والصحف والمجلات المطبوعة، وتلمس نبض الكاتب ومشاعره الإنسانية ومكابدته ومعاناته من خلال كتاباته تبقى أموراً تختص بها القراءة في الأعم الأغلب.

ثالثاً: واقع اللغة العربية في الإعلام المقروء

إذا رحنا نتعرف واقع اللغة العربية في الإعلام المقروء في الصحف والمجلات والإعلانات والمطويات وعلى الشابكة (الإنترنت) فإننا نلاحظ أن هذا الواقع يشكو الفاقة من ناحية، إنْ من حيث العدد أو المضمون، كما يشكو التلوث اللغوي من ناحية أخرى، إن في الأخطاء اللغوية أو في استخدام العامية أو في استخدام الكلمات الأجنبية مع توفر البديل العربي لها، أو في كتابة الرسائل والتعقيبات على مواقع الشابكة بالحرف اللاتيني، أو باستخدام رموز كتابية تنأى عنها العربية، وفيما يلي وقفة على كل من النقاط السابقة:

1. **الفاقة من حيث العدد:** تشير الإحصاءات إلى أن في الوطن العربي نحواً من 520 صحيفة يومية وأسبوعية، وهو يوازي تقريباً عدد المطبوعات في دولة نامية مثل الباكستان التي يصل عدد الصحف اليومية فيها إلى 195 صحيفة، وعدد الصحف الأسبوعية إلى 356 صحيفة.

ويوجد في الوطن العربي نحو 62 مجلة مخصصة للأطفال منها ما بين 10 إلى 12 مجلة فقط تحمل صفة عربية أي توزع عبر أقطار الوطن العربي، والبقية محلية التوزيع. وهذا العدد أقل من نصف عدد المجلات المخصصة للأطفال في دولة صغيرة مثل الدانمارك التي لا يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين نسمة، حيث يصل عدد المجلات المخصصة للأطفال منها إلى نحو 180 مجلة

---

[6] أحمد جلفار، تعزيز الإعلام العربي عبر الإنترنت، بحث في كتاب الإعلام العربي في عصر المعلومات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى- أبو ظبي 2006 ص205.

أسبوعية وشهرية.

ولم تقتصر الشكوى على ضآلة نسبة ما ينشر من صحف ومجلات على الصعيد القومي، وإنما جاوزت ذلك إلى ضآلة ما ينشر على الشابكة (الإنترنت) باللغة العربية، إذ تدل الإحصاءات على أن لغة المحتوى هي الإنجليزية أولاً ونصيبها 67% في حين أن نسبة المحتوى الرقمي بالعربية 1.5%، وهذا يدل على حجم التقصير الكبير الذي يعزل نحواً من 80% من أبناء الأمة العربية عن دخول هذه المدارات الموّارة بالمعرفة في حدودها الكونية، كما أن عدد المستخدمين العرب للشابكة أقل من 2%، مع أن عدد الناطقين بالعربية يصل إلى 5٪ من سكان العالم[7].

2. **الفاقة من حيث مضمون الثقافة الجادة:** أسهمت ثورة الاتصال والمعلومات في إحداث تحول على المشهد الإعلامي العربي في العقدين الأخيرين، فنشأ ما يسمى «إعلام الموجة الجديدة» المتمثل في القنوات الفضائية العربية والصحف والمجلات الإلكترونية والمواقع الإخبارية على الشابكة (الإنترنت).

بيد أن تقرير التنمية الإنسانية العربية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 2003 أشار إلى ضعف البيئة الإعلامية المحفِّزة إلى اكتساب المعرفة في المجتمعات العربية، والدليل على ذلك ندرة البرامج التربوية والثقافية والتعليمية، الهادفة والجادة في الغالب، على شاشات القنوات الفضائية العربية على سبيل المثال، بل إن المحتوى الإعلامي العربي متخم بأشكال التسلية الغثة والرخيصة التي يتعاظم فيها الإمتاع الحسي على حساب اكتساب المعرفة وتنمية العقل، وهو ما يؤدي إلى تبعات خطرة على عقل المستقبل العربي وقيمه[8].

وتدل الملاحظة على أن الإعلام المرئي أشد فقراً من الإعلام المطبوع في الضوابط الأخلاقية

---

[7] الدكتور منصور فرح، اللغة العربية على الإنترنت/منظور إقليمي، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق- حزيران 2009.

[8] أحمد جلفار، تعزيز الإعلام العربي عبر الإنترنت، ص12.

والمهنية والصدقية نتيجة للسرعة التي يتميز بها الأول في ملاحقة الأحداث، ولكن ثمة من يلاحظ أن الثقافة الجادة تتراجع إلى موقع هامشي جداً في الإعلام العربي المقروء والمسموع والمرئي، ولا يكفي أن تصدر بعض الصحف ملاحق ثقافة، أو أن تخصص بعض المجلات صفحات للمنتج الثقافي.

وها هم أولاء شبابنا العرب يعرفون أدق التفاصيل عن الفنانين والرياضيين العرب ونشاطاتهم، ولا يعرفون شيئاً عن العلماء والبحاثة العرب الذين لا ترحب بهم أكثر وسائل الإعلام العربية على حد تعبير الدكتور علي فخرو.

ويزداد الأمر تفاقماً عندما يركز الإعلام العربي على قضايا دينية هامشية وعلى قضايا غيبية لا تمت بصلة إلى عقلانية القرآن وصرامة منهجه في بناء الإنسان المتوازن والمتكامل والمتطور من جميع الوجوه جسمياً وعقلياً وعاطفياً واجتماعياً وجمالياً وإنسانياً.

ويرى بعضهم أن «ثمة ثنائيات عديدة تتحكم في الإعلام العربي، وتتحرك به صعوداً وهبوطاً، فقد يحصل الإعلام على قدر أكبر من الحرية فتقل الهيمنة الحكومية، ولكنه يصبح أقل اهتماماً بالثقافة الرفيعة، وقد يحقق مستوى أعلى من المهنية، ولكن على حساب الحقيقة، فيصبح التلاعب أكثر ذكاءً وأشد خطراً على الوعي الفكري والسياسي للمواطن، وقد يتاح مجال أوسع للقطاع الخاص في الحيز الإعلامي، ولكن الرسالة الإعلامية تتجه نحو الطابع التجاري الاستهلاكي الرخيص»[9].

وإذا وقفنا على الإعلام المقروء في الوطن العربي في الصحف والمجلات والمطويات والإعلانات وعلى الشابكة، فإننا نلاحظ أن «التوسع على مستوى الصحافة المطبوعة يحدث في الصحف الشعبية الأكثر استعداداً لمخاطبة الغرائز الجنسية والمنحطة ثقافياً مثل تلك التي تركز على التحريض العلني على الشخصيات ومحاولة اغتيالها معنوياً، والشائعات والصور

[9] الدكتور محمد السيد سعيد، الاتجاهات والقوى الجديدة في فضاء الإعلام العربي، بحث في كتاب الإعلام العربي في عصر المعلومات، ص45.

الخليعة والأخبار غير المحققة عن فضائح فساد وتحلل أخلاقي وسرقات، وغير ذلك من أمور يفترض أنها تجد هوى عند كثير من الفئات الشعبية ذات الوعي والتعليم المنخفض، ووصل حال بعضها إلى حد التحريض على الفتن الطائفية والعنف والتشهير بكل الوسائل»[10].

ومن الملاحظ أن «معظم الاهتمامات في المجلات الموجهة إلى المرأة منصب على فنون الزخرفة (الديكور) والطبخ وآخر صيحات الموضة وأدوات التجميل والطلة البهية وأخبار الفنانين والفنانات والمطربين والمطربات..الخ دون أي توجه لمناقشة بعض القضايا والمشكلات الجادة والحادة التي تعيشها المرأة العربية، بدءاً من حقها في التعليم، مروراً بحقوقها المدنية الأخرى ووصولاً إلى حقوقها في المشاركة السياسية»[11].

أما المادة الإعلامية على الشابكة «الإنترنت» فإننا نلاحظ أنها تحمل بذور قوة تحديثية في الوطن العربي، فمن الممكن أن تفيد في توفير المصادر التعليمية النادرة، وتوفير نماذج ووسائل للترفيه، وتستخدم الشابكة وسيلة اتصال بين الناس الذين تفصلهم الجغرافيا والسياسة والثقافة والجنوسة Gender.

وإذا كان الإعلام الإلكتروني يقدم قدراً كبيراً من المعلومات، إذ إن الشابكة يعتمد عليها في إجراء البحوث حالياً فإن هذا الإعلام قد أسيء استخدامه، إذ إن الجماعات الإرهابية تستغل الشابكة على أنها وسيلة إعلامية لبث أفكار التطرف ومشاهد القتل والصراعات الطائفية فضلاً عن الإباحة الجنسية وعدم وجود ضوابط تحكم الإعلام العربي.

3. التلوث اللغوي: ويتجلى هذا التلوث في:

أ. **الأخطاء اللغوية والنحوية:** طالما ظننا أن الإعلام المقروء في الصحف والمجلات والإعلانات واللافتات يكون في منأى عن الأخطاء اللغوية والنحوية مادام ثمة مدققون لغويون في تلك الصحف والمجلات وغيرها، ولكن خاب ظننا عندما أخذنا عينة من

---

[10] المرجع السابق ص55.

[11] الدكتور علي الشعيبي، دور وسائل الإعلام بين التثقيف والترفيه، ص171.

المواد الواردة في عدد من الصحف والمجلات المحلية الصادرة في الجمهورية العربية السورية، إذ وجدنا فيها من الأخطاء اللغوية غير الشائعة، وإنما ما يتعلق بالأساسيات، العدد الذي لم يكن ليخطر على بالنا، وها هي ذي نماذج من هذه الأخطاء:

العدد 10673 من جريدة البعث: ورد تحت عنوان «الطريق إلى دمشق»:

من الجدير أيضاً التوجه إلى الساحل حيث تتواجد مدن مثل طرطوس التي يمكن أن تكون القاعدة للانطلاق منها لزيارة قلعة الحصن أحد القلاع العائدة للقرون الوسطى شرق المتوسط.

- وورد تحت عنوان «يوميات»:

فما نحن في آخر الأمر إلا مواطنين

لا تزيد عن ثلاث ساعات

وبعض هذه الأخطاء لغوي شائع مثل «تتواجد» و«زاد عن»، وبعضها نحوي مثل «ما نحن إلا مواطنين وصوابها مواطنون، وأحد القلاع وصوابها إحدى القلاع».

العدد 27 من مجلة الثقافة الأسبوعية- السنة الحادية والأربعون:

ورد تحت عنوان «أديب عزت في رحاب الله»: حقاً كان الأديب ودوداً لكل أصدقاءه ومعارفه، وصعدت روحه إلى باريها عن خمسة وخمسين سنة، وداعاً أبو الفتوح.

- وورد تحت مقالة عنوانها «في ذكرى ميسلون»:

يجهل كيفية البناء للمستقبل معتمداً على دروس الماضي متلافياً أخطاؤه.

كانت البلاد والشعب العربي واقع في بلبلة فكرية.

كان هناك جواباً.

وأربعة طائرات.

52 قتيلاً و200 جريحاً

- وورد في مقالة عنوانها «إحياء ذكرى»:

كان شعر عمر بديهي وارتجالي

لم يحتذي كلام من كان قبله
فيذكر محاسن الأخلاق ومساوءها

• وورد تحت عنوان كيف تكسب الأصدقاء؟
كيف تنتقد الآخرون؟

• وتحت «الإعلانات»:
تكرر الخطأ في تمام الساعة الثانية عشر أربع مرات

العدد 242 من مجلة «سالب موجب» الصادرة يوم السبت في 2010/2/13

ورد في الصفحة السادسة تحت «جرائم الشرف»:

- إن الكثير من الناس يبادرون إلى الأخذ بالشرف بطريقتهم الخاصة لغسل العار بشكل منافي للأخلاق والقوانين وجميع الشرائع السماوية.
- حيث اتفق الطرفين

• وورد في الصفحة السابعة:
وما تحمله من مآسي
لم تزده سوى هماً
تبادر إلى مسمع أبا دريد
ليحال الاثنين
كان وقع الأقدام عائد
وورد في الصفحة العاشرة:
في أثناء إعطاءه محاضرة
لشتمه أبو الفقر

• وورد في الصفحة الحادية عشرة:
لماذا لا تطلبي منا أن نحلم إلا في القمة

هو الصوت الذي لم يعد أحد معنيٍ به

ونظراً إلى كون الرقم غريب

وورد في الصفحة الخامسة عشرة:

حين نرى في نهارنا شيء غير طبيعي

إن لله في خلقه شؤون

وورد في الصفحة السادسة عشرة:

28 يوم من العطاء

في كل عشرين ليتر

ويبدو من إنعام النظر في هذه الأخطاء أن ثمة غياباً للمدقق اللغوي، وأن ثمة تفلتاً من مسؤولية الكلمة وفتوراً في الإحساس بالمسؤولية تجاه اللغة القومية.

ب. **استخدام العامية:** كان يظن أن العامية تستخدم في الإعلام المسموع وليس في الإعلام المقروء، وأن استخدام العامية في الكلمة المكتوبة خط أحمر لا يجوز تجاوزه، إلا أننا لاحظنا أن ثمة استخداماً للعامية في بعض الصحف والمجلات، وبعضها يتسم بالرزانة في معالجة الموضوعات التي ينشرها، فمجلة «طبيبك» هي مجلة مرموقة في ميدانها، ولكننا لا نجد أي مسوّغ لنشرها شعراً في العامية عنوانه «آه يا حبيبي» على النحو التالي:

آه يا حبيـــبي شـــو بحبك	وبتمنى عيش بقربك
بس يا حبيـــبي لَيْشَك هيك	ضايع.. تايه.. وملبك
ما فينـــي داوي جراحـــك	بضحكلك ما بتضحك
بلحي استوى، وعما استنى	بلكـــي بيستوي بلحك
راسي بحطو على صدرك	أنا شمســـك وقمرك
بـــدك ترضي كـــل الناس	وهيدي غاية لا تدرك

ولا نجد أي مسوّغ لنشر جريدة «تشرين» وهي جريدة مرموقة في ميدانها أيضاً بيتين من

الشعر بالعامية في أحد أعدادها:

قالت مشيبك سكّر عليك الطريق وصار في كرم الهوى غصنك عتيق

قلتلها كـــل ما يبس عود الحطب بيـــصير عنـــدو قابليـــة تللحـــريق

وإذا كان من أهداف الإعلام المقروء الارتقاء بأذواق العامة إلى جمال الفصيحة ودقتها في التعبير ونصاعة الأسلوب فإن في نشره العامية هبوطاً بالذوق العام، وأين هذا الهبوط بالذوق العام من قول الشريف الرضي:؟

أقول وقد أرسلت أول نظرة ولم أر من أهوى قريباً إلى جنبي

لئن كنت أخليت المكان الذي أرى فهيهات أن يخلو مكانك من قلبي

وكنت أظن الشوق للبعد وحده ولم أدر أن الشوق للبعد والقرب

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري كأنك من عيني نقلتِ إلى قلبي

ج. **استخدام الكلمات الأجنبية مكان العربية:** ثمة شعور بالانبهار أمام الثقافة الأجنبية، وإنك لواجد نفراً من أبناء الأمة يستخدم الكلمات الأجنبية على الرغم من توفر البديل العربي لها، ولكنه يأنف من استعماله، وها هو ذا مدير تحرير مجلة سالب موجب يقول في إحدى مقالاته: «فجأة نفقد الرجل موبايله متذرعاً بنسيانه، ثم نتاول الموبايل: ونسأل مادام البديل العربي متوفراً إذ إن هناك: الهاتف المحمول، والهاتف الجوّال، والهاتف النقّال، والخلوي، وكلها أبدال عن الكلمة الأجنبية، فلماذا يستخدم الكلمة الأجنبية ولا يستخدم الكلمة العربية؟

وهذا ما نعانيه في استخدام اللغة العربية في البيئة على واجهات المحال التجارية والمنشآت السياحية والخدمية، إذ إن نفراً من أصحاب المحال التجارية يعارض التسمية العربية ويصر على استخدام التسمية الأجنبية، ففي حملة التمكين للغة العربية تنفيذاً لبنود خطة العمل الوطنية السورية

لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها[12]، والتي وضعت بناءً على القرار الجمهوري ذي الرقم 4 لعام 2007، طلب إلى أصحاب المحال التجارية الذين يستخدمون التسميات الأجنبية على واجهة محالهم أن يعملوا على تعريبها، وإذا صاحب محل (Cute) يكتب «كيوت» بالحروف العربية ويبقي اللفظ الأجنبي قائلاً: «إن الاسم الأجنبي أكثر موسيقية وهو اسم محبب، وكل الزبائن اعتادوا فلن يعرفوا المحل إذا أصبح اسم (لطيف) مكانه».

ويقول مدير محل (Radiant Man): إنني دفعت مبلغاً مالياً لحماية الملكية بهذا الاسم، وسأدفع مبلغاً آخر لحماية الاسم الجديد في حال الترجمة للعربية «الرجل المشرق»، لذا آثرت أن أكتب على اللوحة (ريدينت مان)، والإبقاء على الاسم الأجنبي كونه سلساً وجميلاً أكثر من العربي».

ويعلّل صاحب محل (فيولاسيكريت) سبب اختياره للاسم الأجنبي قائلاً: «إنه اسم موسيقي ولطيف ويجذب الزبائن، ولن يبدو حلواً ويجذب الزبائن بالدرجة نفسها إذا وضعت (سرفيولا) في ترجمته إلى العربية».

ويوافقه على رأيه مدير محل (إليغانس) الذي يرى اسم المحل الحالي جذاباً للزبائن أكثر مما لو كان بالعربية (الأناقة)، ومدير محل «Virgin» الذي قال «إنني اخترت الاسم الأجنبي منذ سنوات تيمناً ببرجي الفلكي «العذراء»، وأفضل التسمية الأجنبية كونها أجمل من العربية».

وثمة آلاف النماذج على نطاق الساحة القومية تدل على سوء استخدام الثنائية اللغوية إن في الإعلانات أو في الصحف أو على واجهات المحال التجارية والأماكن العامة، ففي شوارع القاهرة كما يقول الزميل الدكتور أحمد درويش، فروع لمحل بيع ملابس المحجبات، ومعنى هذا أن زبائنه بالدرجة الأولى من المنتميات إلى المحافظة على التقاليد الإسلامية ومن بينها اللغة بطبيعة الحال، والمحل من ناحية ثانية ليس فرعاً لمؤسسة دولية تحمل اسماً تجارياً أجنبياً تتطلب بعض الضرورات التمسك به وكتابته بين الكلمات العربية التي تحمل اسم المحل واسمه الذي اختاره له

---

[12] الدكتور محمود السيد رئيس لجنة التمكين للغة العربية، خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، الطبعة الثانية، دار هارون الرشيد لنشر العلم والمعرفة، دمشق 1430هـ 2009م.

صاحبه هو «السلام»، ولكن الثنائية اللغوية تحققت في التركيبة العجيبة التي تصدرت في النهاية واجهة المحل فأصبح اسمه «السلام شوبنج سنتر لملابس المحجبات» حاملاً معه كل التناقضات، وكل ما ينـــزع عن اللغة جانباً كبيراً من هويتها وانتمائها حتى لدى أشد الناس ادعاء بالتمسك بتقاليدها»[13].

وإذا ما انتقلنا إلى الشابكة «الإنترنت» فإن جل ما يبعث به من رسائل الكترونية قد كتب بلغة هجينة ركيكة الأسلوب، وبالعامية المبتذلة أو باللغة الإنجليزية، وأحياناً بلغة فصيحة زاخرة بالأخطاء اللغوية، وأحياناً بلغة فصيحة أو عامية ولكن بحروف لاتينية!

رابعاً: من سبل الارتقاء بواقع العربية في الإعلام المقروء

ثمة سبل متعددة يمكن اتباعها للارتقاء بواقع الإعلام المقروء، ومن هذه السبل تنمية الإحساس العالي بمسؤولية الكلمة الفصيحة صحة وسلامة ومضموناً، والمراجعة اللغوية الدقيقة لما ينشر في الصحف والمجلات والإعلانات، ووضع تشريعات ناظمة، والتنسيق بين جميع الجهات المعنية بالإعلام من جهة وبينها وبين المنظمات والوزارات والاتحادات والنقابات والجمعيات...الخ من جهة أخرى بغية العمل على تنقية البيئة اللغوية من التلوث، إضافة إلى إقامة دورات تدريبية للعاملين في مجالات الإعلام المقروء لتبصيرهم بالأخطاء الصارخة والشائعة وكيفية معالجتها، والتشدد في انتقاء العاملين في الإعلام المقروء على أساس الجدارة والكفاية. وفيما يلي تبيان لكل من المقترحات السابقة.

- **تنمية الإحساس العالي بمسؤولية الكلمة الفصيحة:** إذ إن لتنمية الإحساس العالي بمسؤولية الكلمة علاقة وثيقة بالشعور بالانتماء إلى الأمة ولغتها القومية، وإن الواجب القومي يدعونا إلى الحرص على سلامة اللغة من جهة لعلاقة هذه السلامة بالمعنى، والحرص على التمسك بالكلمة

---

[13] الدكتور أحمد درويش، التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة، الوثيقة الإقليمية لمناهج تعليم وتعلم اللغة العربية، مبادرة الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم، دار الشروق 2009.

الفصيحة من جهة أخرى، نظراً إلى أن الفصيحة عامل توحيد بين أبناء الأمة، وهي لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آية لنبوته وتأييداً لدعوته ودستوراً لأمته.

وإذا كان الحرص على الغذاء الفكري الذي يقدمه حملة الأقلام للناس أمانة في أعناقهم من حيث استناده إلى ثروة خلقية، فإن الحرص على دقته اللغوية وسلامته من اللحن والخطأ لا يقل عن سمو المعنى وغنى الزاد الفكري نظراً إلى الارتباط الوثيق بينهما.

ولما كان الله قد أقسم بالقلم في قرآنه الكريم دلالة على سمو الأمانة المنوطة به فإن على حملة الأقلام أن يقدروا المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقهم في التحكم بالغذاء الفكري للناس، وأن في أعناقهم أمانة الوفاء لرسالتهم، وأن عليهم أن يكونوا أهلاً لحمل هذه الأمانة.

- **المراجعة اللغوية الدقيقة لما ينشر:** إن مسؤولية الكلمة تستلزم الحرص على سلامة اللغة وصحتها، وهذا يتطلب تَوَفُّر المدققين اللغويين في الإعلام المقروء حتى يضطلعوا بدورهم في المراجعة اللغوية بكل عناية واهتمام وشعور عال بالمسؤولية.
- **وضع تشريعات ناظمة:** إذا كان ثمة فتور في الانتماء، وثمة تفلت من معايير اللغة وقواعدها، كان وضع تشريعات ناظمة تضع حداً للاعتداء على حدود اللغة من الأهمية بمكان، ذلك لأن للغة حدوداً كحدود الأرض للوطن لا يجوز أن تترك مباحة لكل دخيل من أي باب جاء، وعلى حملة الأقلام، لا بل على أبناء الأمة كافة، مسؤولية حماية حدود للغة العربية التي هي الوطن الروحي لأمتنا العربية.
- **إقامة دورات تدريبية للعاملين في مجال الإعلام المقروء:** وتهدف هذه الدورات إلى تبصير هؤلاء العاملين بالأخطاء الشائعة وكيفية معالجتها، وإكسابهم المهارات اللغوية الأساسية في القواعد النحوية والإملائية، على أن يعد إتقان المهارات اللغوية عاملاً أساسياً في الترقية ومنح المكآفات المادية والمعنوية.

كما تهدف هذه الدورات إلى تزويد العاملين في مجال الإعلام المقروء بأساليب الكتابة العلمية والدقة في اختيار الألفاظ الدالة والمعبرة عن المعاني، وتهدف إلى إكسابهم مهارات القراءة الناقدة

في عصر اختلطت فيه الأوراق، واختلت فيه المعايير، واضطربت فيه المفاهيم.

- **انتقاء العاملين في الإعلام المقروء على أساس الجدارة والكفاية:** انطلاقاً من الإحساس العميق بمسؤولية الكلمة، وحرصاً من القائمين على أجهزة الإعلام المقروء على سمعة مؤسساتهم وصحة اللغة التي يستخدمونها ودقتها وسلامتها، كان لا بدَّ من انتقاء العاملين في الإعلام المقروء صحفاً ومجلات ونشرات وإعلانات.. الخ على أساس الجدارة والكفاية، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ومن هنا كان إخضاع المتقدمين للعمل في هذه المؤسسات الإعلامية إلى لاختبارات ومقابلات موضوعية يختار في ضوئها ذوو الكفايات العالية المتميزة أمراً لازباً تستدعيه المصلحة الوطنية والقومية وطبيعة العصر التي لا تقيم وزناً إلا للأذكياء المتفوقين والمبدعين.

- **التنسيق بين جميع أجهزة الإعلام والمنظمات والاتحادات والنقابات:** ذلك لأن التنسيق بين هذه الجهات كافة والإعلام يؤدي إلى تحقيق الأهداف إذا ما كان ثمة تخطيط لغوي، يضطلع كل طرف بدوره في تنفيذ الخطة اللغوية الرامية إلى النهوض باللغة العربية والتمكين لها، أما ما نلاحظه على صعيد الساحة القومية فهو غياب هذا التنسيق، وغياب الخطة اللغوية، وثمة مؤسسات تعليمية تعمل جاهدة على ملء القربة من فوق، فتحدث مؤسسات أخرى في القربة ما استطاعت من ثقوب، أولئك يبنون السفينة أو يحاولون بناءها، وهؤلاء يخرقون أطرافاً منها دون أن يجدوا من يأخذ على أيديهم. ويعود الجهد العربي الضائع على نحو ما يبدو في كثير من المساحات الأخرى حقيقة ماثلة، ويوشك أن ينتهي المرء إلى أن كثيراً مما تقوله الصحافة وكثيراً مما تذيعه الإذاعة وكثرة فاحشة مما يقوله المسرح إنما هو نقيض الذي تقيمه المؤسسة التعليمية إذا أحسنا الظن أن هذه المؤسسة تقوم بدورها في التمكين للغة العربية.
- **العمل على زيادة عدد الصحف والمجلات المطبوعة:** على أن يقوم القطاع الخاص والجمعيات بدورهما في هذا المجال إرضاء للميول، واستجابةً للحاجات المعرفية.
- **السعي الحثيث إلى زيادة نسبة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة** «الإنترنت».

- **تعزيز الحفاظ على الحرف العربي في الصحف المهاجرة:** في الدول الأوربية وفي الأمريكيتين ربطاً لأبناء الجاليات العربية بلغتهم وقضايا أمتهم.